صوته كان يهز اليمن .. وشعره أشعل شرارة الثورة

أبو الأحرار محمد محمود الزبيري .. سلام إلى روحه في ذكرى وفاته

مرت على اليمنيين ذكرى وفاة الشاعر الحر محمد محمود الزبيري .. دون أن تأخذ هذه الذكرى حقها من الاهتمام، أملها الاهتمام الإعلامي.. بشاعر كبير وعملاق، ضحى بحياته من أجل أن يحيي الوطن .. كان لكلماته وابياته وقع الزلزال المدوي على الحكم الإمامي الذي تألم له الزبيري وغيره من الأحرار الذين قاموا بالثورة التي توجت بالنور في 26سبتمبر1962 م.

صرخ الزبيري متألما بالقول:

ماذا دهى قحطان؟ في لحظاتهم
بؤس وفي كلماتهم آلام
جهل وأمراض وظلم فادح
ومخافة ومجاعة و"إمام".

وفي هذه المناسبة ووفاء لهذا الشهيد العملاق نستعرض ونفتش في السطور التالية جزءا من ملامح حياته .. التي غلب عليها الكفاح والتضحية من أجل الوطن.

إعداد/عبدالواسع الحمدي

حياته

ولد ونشأ في صنعاء، العاصمة اليمنية العريقة، وبها بدأ تعلمه وتأثر تأثرا شديدا بتعاليم الصوفية ونعم بها كما لم ينعم بشيء آخر، ومال إلى الأدب عامة والشعر خاصة، فدرسه حتى تمكن من نفسه، فهام به أي هيام. انتقل إلى مصر ليتم دراسته، فالتحق بدار العلوم حصن اللغة العربية، وقبل أن يتم دراسته فيها عاد إلى اليمن عام1941 م وكانت الأوضاع فيها متردية، استشرى فيها الفقر والمرض، ولم يقم الحكم الإمامي حينها بواجبه نحو مكافحة هذين البلاءين، وزاد الأمر سوءا بانتشار الجهل وانتصار حكام اليمن له.

لقد اتسعت الشقة بين الشعب اليمني وحكامه، وترصد كل منهما الآخر وكان لابد للزبيري أن يسعى لإنقاذ شعبه مما هو فيه، فسعى إلى إقناع الامام بالسماح لهذا الشعب المسكين أن ينطلق من قيوده، وقد بذل كل ما في وسعه لتحقيق الخير لبني وطنه، فمدح الأئمة وأبناءهم، وصانعهم ولاينهم، ولكن بلا جدوى، فقد تمكنت في نفوسهم عقيدة راسخة بأن هذا الشعب لا يحكم إلا بالحديد والنار. ولما يئس من استجابة الامام لدعوته للإصلاح، ترك المصانعة وأعلنها عليهم حربا ضروسا، سلاحه فيها شعره المتفجر الملتهب، فقد كان يعتقد بأن للقلم في مقاومة الطغيان فعل الحديد والنار، وقد عبر عن هذا الاعتقاد نثراً وشعرا فمن ذلك قوله: "كنت أحس إحساسا أسطوريا بأني قادر بالأدب وحده على أن أقوض ألف عام من الفساد والظلم والطغيان" وفي نفس المعنى يقول شعرا :

كانت بأقطابها مشدودة الطنب
قوضت بالقلم الجبار مملكة

وفي نفس العام الذي عاد فيه من القاهرة استقبلته سجون صنعاء والأهنوم وتعز ولما استطاع محبوه أن يخرجوه من السجن لم يطق البقاء في اليمن – السجن الكبير كما دعاه – فارتحل إلى عدن سنة1944 م لعله يستطيع أن ينطلق منها لتحقيق الحرية لوطنه، فعمل على بث روح التضحية والثورة في الشعب اليمني عن طريق صحيفته التي أصدرها في عدن سنة1946 م باسم " صوت اليمن " واختاره اليمنيون المقيمون هناك رئيسا للاتحاد اليمني، وأسلموا له راية الجهاد . . تابع جهاده في عدن رغم مضايقات الإنجليز إلى أن قامت الثورة الأولى بقيادة عبدالله بن أحمد الوزير سنة1948 م، قتل فيها الإمام يحيى حميد الدين وعدد من أولاده، فهرع إلى اليمن وعين وزيرا للمعارف، ولكن هذه الثورة لم تدم أكثر من شهر، وعادت أسرة حميد الدين للحكم في شخص الإمام أحمد ابن الإمام المقتول . وفر الزبيري ثانية، ولكنه وجد الأبواب أمامه موصدة إلا باب الدولة الإسلامية الناشئة في باكستان فالتجأ إليها، ولقي من شعبها المسلم كل تكريم فقابل هذا التكريم بمثله فتغنى بهذا الشعب الأبي، وأنشد أجمل قصائده فيه وأذاع روائع شعره من إذاعة الدولة الناشئة . وفي عام 1952 م هرع إلى مصر عندما علم بقيام الثورة فيها، واستبشر الزبيري خيراً بهذه الثورة عندما لاحت، وما كان يعلم آنذاك ما خبأته الأقدار لليمن على أيدي رجالات هذه الثورة قام أحمد يحيى الثلايا بثورته الإصلاحية في سنة1955 م والزبيري بمصر ولكن الثورة فشلت قبل أن يسهم فيها بشيء، وعاد حكام اليمن اكثر قسوة وأشد تصميما على منهجهم في الحكم، واستمر الزبيري في مصر يدعو لإنصاف شعب اليمن عن طريق المقالات التي ينشرها في صحيفة " صوت اليمن " التي أعاد إصدارها في سنة1955م وأخذ يشارك في جميع القضايا العربية والإسلامية بجهده وشعره.

ويئس بعض رفاقه في الكفاح، وظل الأمل يحدوه، وقامت ثورة 1962 م بقيادة عبدالله السلال الذي استدعى الزبيري من القاهرة وسلمه وزارة التربية والتعليم، ثم عين عضوا في أول مجلس لرئاسة الجمهورية ولكن الرياح لم تجر كما شاء لها شاعرنا وقدّر فانتكست الثورة بحرب أهلية مريرة لم يشهد تاريخ العرب لها مثيلا، فترك الزبيري الوزارة وأفرغ جهده في إصلاح ما أفسده المفسدون فزار القبائل وعرض نفسه للقتل، ودعا إلى الوفاق والصلح وحقن الدماء، وحضر جميع المؤتمرات التي عقدت للصلح، وكان رئيسا لمؤتمر عمران الذي أصدر قرارات الصلح والوفاق ولكن هذه القرارات جوبهت بالمماطلة في التطبيق.. وتوالت المؤتمرات في أركويت في السودان وفي خمر في اليمن.. وكان الزبيري فيها جميعا داعية الوفاق والإصلاح.

لقد أدرك - رحمه الله -. بعد كل ما بذل من جهدٍ أن الدعوة الفردية لا تجدي، وأنه لا بد من تنظيم يتبنى نظاما مقبولاً لدى الشعب اليمني بأسره يكون بديلا لكل هذه الدعوات التي أغرقته في بحار من الدماء، ولم يكن الزبيري ليعدل بالإسلام نظاما، فقد عاش حياته مؤمناً أن لا حياة للمسلمين إلا بالإسلام فسارع إلى إنشاء حزبه باسم " حزب الله "، فالتف حوله خيرة الرجال في اليمن، وانطلقت دعوته تجوب آفاق اليمن فتلقى المجيبين والملبين، وبدأ حملة واسعة قي أرجاء اليمن يخطب الجماهير داعيا إلى ما آمن به، وانتهى به المطاف إلى جبال " برط " وبينما كان يلقي خطابه انطلقت رصاصات غادرة تخترق قلبه المؤمن، فسقط شهيدا على تراب اليمن التي وهبها حياته كلها، في هذا اليوم أول ابريل1965 م صمت الصوت الذي هز اليمن، هز المخلصين فسارعوا إليه يلبون نداءه، وهز الحاقدين والمنتفعين والمستعمرين فسارعوا إلى إفراغ حقدهم برصاصات استقرت في القلب الكبير.

من قتل الزبيري؟ ولماذا لم يلق القبض على القتلة؟ ولماذا أهمل التحقيق في الحادث ؟ إجابات هذه الأسئلة ستبقى مطوية إلى أن يأتى الزمن الذي يكشفها ويكشف مثيلات لها في أرجاء الوطن الإسلامي الكبير.

آثاره :

أصدر شاعرنا ديوانين : الأول : " ثورة الشعر " الثاني : " صلاة في الجحيم " وما نشر في هذين الديوانين هو الجزء الأقل من شعره، ولازالت هناك مجموعات كبيرة من شعره تنتظر من يقوم بطبعها.

مؤلفات الزبيري

صدر للشاعر الكتب السياسية التالية:

ا – دعوة الأحرار ووحدة الشعب – 2 الإمامة وخطرها على وحدة اليمن – 3الخدعة الكبرى في السياسة العربية – 4 مأساة واق الواق، تحدث فيه عن مصير جلادي اليمن وعن مصير الشهداء الذين سقطوا دفاعا عن اليمن وشعبه متبعا أسلوب، " رسالة الغفران " للمعري .

وله إلى جانب هذه المؤلفات مجموعات من مقالاته وبحوثه السياسية والأدبية تقع في عدة مجلدات . ولا يفوتنا هنا أن نسجل بأن جميع مؤلفات الزبيري والغالبية العظمى من شعره تدور حول مأساة الشعب اليمني الذي أفنى عمره في سبيل قضيته وسقط شهيدا وهو ينادي بحريته.

شعره:

الزبيري شاعر مطبوع، تعشق الأدب منذ يفاعته، وقال الشعر منذ صباه يمتاز شعره بالجزالة والحيوية وهو في نسجه أقرب ما يكون للقدامى لولا المعاني الحديثة التي يتناولها، وقف شعره تقريبا لقضيته الكبرى، حرية اليمن وسعادة شعبه، فقد هاله ما يعانيه اليمنيون من ظلم الحكام وفتك الأمراض وانتشار الفقر واستيلاء الجهل على الناس، فحاولٍ محاربة كل هذه الأوبئة بالكلمة، بالأدب، بالشعر وكان مؤمناً إيمانا لا يتزعزع بأنه قادر بها أن يخلص شعبه ويسعده.

مؤسسة السعيد ودورها الثقافي

أ.د. مسعود عمشوش

■ من اليسير علينا اليوم أن نلمس القصور أو التعثر (لكي لا نقول الفشل) الذي تعاني منه كثير من مؤسسات القطاع العام في بلادنا كما هي الحال في كثير من بلدان العالم الثالث، وذلك على الرغم من الميزانيات السخية والموارد البشرية المنتقاة من بين أفضل الخريجين، التي لا تتردد الحكومات عادة في وضعها تحت تصرفها. وهناك من يميل إلى تفسير إخفاقات مؤسسات القطاع العام الى تفشي الفساد فيها. ومع ذلك يبدو لي أن شماعة الفساد السهلة والجاهزة لا تكفي لتفسير جميع حالات الفشل التي تعاني منها كثير من مؤسساتنا العامة. ومن اللافت حقا أن لا يتم التشكيك في تدخلات مراكز النفوذ الحكومية والحزبية وقدرات العناصر الإدارية المعينة والتي – كما هو معلوم– لا تخضع دائما في القطاع الحكومي لمعايير الكفاءة فقط، لتفسير فشل المؤسسات العامة.

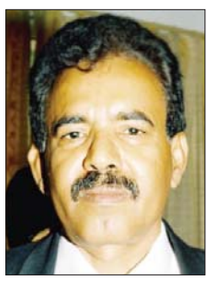

وبالمقابل، تبرز أمامنا كثير من مؤسسات القطاع الخاص – الصناعية والصحية والتعليمية والثقافية– التي استطاعت أن تفرض نفسها واسمها بفضل نجاحها في تقديم الخدمات المتميزة للمجتمعات التي تنشط فيها.

وسأحاول –هنا– أن أسلط الضوء بإيجاز على مؤسسة السعيد للعلوم والثقافة التي تُعد أهم المؤسسات الثقافية الفاعلة في اليمن والتي لن يختلف اثنان حول المستوى الكبير للنجاح الذي حققته خلال الخمس عشرة سنة المنصرمة من عمرها.

لقد تأسست مؤسسة السعيد للعلوم والثقافة في عام 1996 بقرار من مجموعة هائل سعيد أنعم وشركاه، وتم تدشينها رسميا في عام 1997. وقد تطورت المؤسسة وتنوعت مجالات أنشطتها التي تزيد اليوم على عشرة برامج ثقافية مختلفة، يتم تنفيذها في مبناها الذي يقع وسط الحالمة تعز، والذي يضم، بالإضافة إلى المكتبة الواسعة وقاعات عرض للمخطوطات والمسكوكات، قاعات للندوات والاجتماعات والتدريب، وكذلك قاعات مجهزة لتعليم مهارات اللغات الأجنبية و الحاسوب. وهذا ما يبيّن لنا نجاح المؤسسة في التوظيف المثالي للحيز المكاني الذي تشغله، بعكس الحال التي نجدها في كثير من المؤسسات التعليمية والثقافية الحكومية التي – على الرغم من امتلاكها للعديد من المباني الفخمة – لا تستطيع تنفيذ برامجها ودوراتها إلا في القاعات المستأجرة أو الفنادق.

واليوم تعد مكتبة مؤسسة السعيد التي افتتحت في عام 2000 من أفضل المكتبات النوعية في اليمن. وهي تحتوي على أكثر من 92 ألف عنوان، ويرتادها أكثر من 375.000 قارئ في السنة. وهي تكاد تكون المكتبة الوحيدة في اليمن التي يستطيع القارئ فيها أن يبحث عم يريد من خلال البحث في الفهارس (والكاتلوجات) الرقمية. وهو الأمر الذي لا نجده حتى في مكتبات الجامعات الحكومية التي تُرفد ميزانياتها من خزينة الدولة. ومن المعلوم أيضا أن مؤسسة السعيد تقوم بدعم الكتاب اليمني من خلال شراء نسخ من المؤلفين بأسعار تشجيعية، وتقوم بتوزيعها على المكتبات العامة الأخرى التي بادرت إلى إنشائها في بعض المدن اليمنية.

وبالإضافة إلى المكتبة تضم مؤسسة السعيد معرضين دائمين للمخطوطات والمسكوكات اليمنية. ويجسد هذان المعرضان نجاح المؤسسة في خلق شراكة فاعلة مع أفراد وقطاعات خاصة أخرى. وهو الأمر الذي لم تفلح فيه حتى وزارة الثقافة نفسها.

وبالإضافة إلى رواد المكتبة يكتظ مبنى المؤسسة يوميا بالعشرات من الشباب والشابات الذين يلتحقون بدورات التدريب التي تنظمها المؤسسة بالتنسيق مع بعض مؤسسات المجتمع المدني، وكذلك دورات التأهيل في اللغات الأجنبية ومهارات الحاسوب. كما ينظم منتدى المؤسسة فعاليات أسبوعية تتناول مختلف القضايا الاجتماعية والتعليمية والثقافية، لاسيما الساخنة منها والمرتبطة بالواقع والحياة اليومية.

ولكي تسهم بشكل فعال في تحفيز البحث العلمي والإبداع الأدبي في اليمن أنشأت مؤسسة السعيد للعلوم والثقافة (جائزة المرحوم الحاج هائل سعيد أنعم للعلوم والثقافة) التي تمُنح سنويا في ثمانية مجالات علمية وإبداعية. ولضمان أن يعطى للجائزة دورها الفعلي في الارتقاء بمستوى الأبحاث العلمية في اليمن فقد حرصت المؤسسة على تشكيل مجلس أمناء للجائزة من أشهر الأساتذة المتخصصين في اليمن، وكذلك اختيار لجان تحكيم من مختلف الجامعات والمراكز العلمية في اليمن وخارجها. ومن الملاحظ أن الصرامة والجدية في إخضاع البحوث والنصوص الإبداعية المقدمة لنيل الجائزة للمعايير والشروط العلمية الموضوعة قد أدى إلى «تأرجح» الجائزة بين المنح والحجب. ومن المتوقع أن يتم في نهاية شهر إبريل القادم الاحتفال بمنح الجائزة للفائزين في مجالات الطب والإبداع الأدبي والترجمة، وذلك بالتزامن مع تنظيم المؤسسة لمعرض الكتاب الذي دأبت على تنظيمه سنويا في الأسبوع الخير من شهر أبريل في مدينة تعز.

كما تقوم مؤسسة السعيد للعلوم والثقافة بتشجيع البحث العلمي في اليمن من خلال (صندوق السعيد لدعم البحث العلمي) الذي انشأته منذ أربع سنوات بهدف مساعدة الباحثين على إعداد أبحاثهم والارتقاء بمستواها. ويخضع هذا الصندوق لإشراف مجلس الأمناء.

وفي اعتقادي أن النجاح الذي حققته وتحققه مؤسسة السعيد للعلوم والثقافة منذ تأسيسها وحتى يومنا يعود إلى جهود موظفيها الأكفاء وفريق الإدارة الذي يقوده الأستاذ المثقف القدير فيصل سعيد فارع منذ نشأتها. كما يعود هذا النجاح إلى الكيفية التي استطاع بها أولاد المرحوم هائل سعيد أنعم أن يعتمدوا بها على عناصر كفؤة من خارج الانتماء العائلي والسياسي والحزبي ووووو، وأن يكتفوا بالدعم المادي السخي ومراقبة الأداء والجودة من خلال مجلس أمناء مكوّن من أفضل المتخصصين في اليمن.

ولا يفوتني هنا أن أدعو القائمين على مؤسسات القطاع الخاص في بقية المحافظات والمدن إلى التمعن جيدا في تجربة مجموعة المرحوم هائل سعيد أنعم في تعز في دعم حركة الثقافة والبحث العلمي والتأهيل، وأن يحذوا حذوها وينافسوها في هذا المجال الاستثماري الجدير بالاحترام. ولن يفوتني طبعا أن أدعو القائمين على مؤسسات القطاع العام، لاسيما المتعثرة منها إلى مجاراة القطاع الخاص في تطبيق الإدارة المعتمدة على المهارات الحقة والكفاءة أولا وأخيرا، وعلى وضع نظم مراقبة خارجية للأداء وضمان الجودة، واتباع نظم عادلة للتقييم والحوافز.

حكاية السحابة

مجيب الرحمن هراش

السحابة أجلست حلمي على شعرها..أحرفي البيض في خصرها والرؤى والشذابا
السحابة في حلمتيها انغمست..اغتسلت..انهمرت..انبجست رياحا ثلوجا وغابا
السحابة أدخلني نسغها في السحابة أكثر..هل قبلة أرسلت أم كتابا
كشفت وجهها والمرايا ..استدارت..أضاءت زوايا المدى ..أجهشت ب»كفاني عذابا»
دخلت غرفة النوم :عفوا دقائق حتى أعد الفراش المكان الثياب .. الشرابا
انتظرني السحابة قالت ،أواذهب، أواجلس قليلا،أو أ رحل أو ارشف صباي انسكابا
هي في غرفة النوم تغسل أسنانها أو تصلي العشا أو تهاتف «نادية» أو «ربابا»
أو تشاهد فيلما لهيفاء أكثر جدية وإباحية وغنى و(.........................)
السحابة يا للسحابة تملؤني شهوة ووجودي لظى وسمائي اظطرابا
السحابة لا بأس من لحظة تجعل المرء أكثرقدسية وجنونا وأهدى صوابا
○○○○○○
سوف أجلس فوق السحابة أرتشف الضوء والشعرأستنشق الحلم والمستحيلا
أتأمل من فوق أثدائها وطني وبلادي وليلَ البلاد الكثيف الثقيلا
أتساءل عما سيجري لها؟ هل بخير هي الآن؟هل وحدها تستطيع الوصولا
○○○○○○
سوف أرنو إلى مقلتيها (السحابة)مستغربا..باكيا..قلقا..متعبا..نصف حائرْ
أنت مابك؟يمكنها أن تقول ويمكنني القول:لاشيئ لا ربما كنت ساهرْ
ربما سوف تبكي سأبكي أنا مهعا قبل حزم الحقائب أو قبل قطع التذاكرْ
○○○○○○
هل لها وطن؟ أتساءل بيني وبيني فيفجؤني صمتها « ايش معنى وطن»
»مصر» تشبهه في الهوى يا ترى أم «دمشق» ام البحرأم هو يشبه أرضي»اليمن»
أهله طيبون؟ يحبونه؟ يصنعون له المجد والخلد والكبريا لا الفتن؟
السحابة:هيا بنا ،قلت:هيا إلى أين؟ قالت إلى جبل باسق من شجن
وذهبنا أنا والسحابة كان الضياء يضللنا، والمسا بالندى، والزمن..
○○○○○○
السحابة قالت: أتسمع هذا النشيد الذي يركل الأرض منغرسا في فؤادي
قلت : أسمعه جيدا، من هنالك آت هو الآن من تربتي من دمي من بلادي
ردديه معي . حسنا فإذا الكون ينشده والفضا ويردده كل واد:
»يا بــــلادي نحــن أبنــاء وأحفاد رجالك
سوف نـــحمي كل ما بين يدينا من جلالـــك
و...
....»
○○○○○○
أتبكين ؟ أبكي ،لأني سعدت بلقياك جدا كما كنت بي أنت جدا سعيدْ
وأبكي عليك، فأنت تحب بلادك جدا وتحلم في صنع فجر جديـدْ
وأبكي لأن نشيدا كهذا كثير عليكم ولا تستحقون هذا النشيـــدْ

1 يناير 2012/م

كـــالـــذي كـــان...

سبأ عباد

● لم أكن أعي بأنني سأتزوج البحر...السماء كانت تبدو أكثر اتساعا من الماء حين تترامى على مخيلتها الأسئلة ..والنجوم تقاسم تلك الدوائر أشياءها..وهنا في صحبة الريح في المكان المعد لقلبين أن يتكأا على جناح من الحلم.......

قبل أن يشي الضوء بآمالنا ،ويسحب البحر كرنيشه من تحت أقلامنا ..ما كنت أدري بأن الماء هو الماء ،سجادة الغيم عليه تطيل السماء تراويحها ..

كنت أحسب ذاك هو البحر ..كالذي كان يبدو أمامي ،وتلك النجوم صغاره يطلعهم عليّ حين ينام البقية ..ووحدي أسترق النظر واتلو عليه ما تيسر من سورة الذكريات،أتلو عليه قصائدنا ويعزف لي ألحانه في وئام..

كان بحري الذي أحببت ..نجوما وقمرا..امتدادا وسفرا ..وكنت أزعم أن الشمس تشرق من باطن البحر ،وأن الظلام يخيم عندما تكشف الشمس عن ساقها في الغروب وتدنو بمفردها كي تغوص بداخله كسمكة ..إلى أن يداهمها النوم ،فتنام على صوتنا ...

وحين تزوجت بالبحر !!!وجدت المكان غريبا، لم يعد صالحا للعبادة ،ولم يعد ثمة كرنيش كي أعيد االنظر ، وأتأكد من هوية تلك الرؤى...

والآن كل شيء يبدو لي غريبا جدا ، ومختلفا جدا !!وخطأي الوحيد :هو أنني لم أرفع رأسي يوما عن البحر ،حتى ظننت بأن السماء هي البحر ،والنجوم هي البحر ، والقمر هو البحر ،والشمس هي البحر،والغيوم هي البحر .....

حينها كنت أظن أيضا بأنني سأتزوج القمر ....
فأنا أتقن التأمل ..ولا أستطيع االسباحة،،،